القسم الثاني

أركان الإيمان وركائزه وبراهينه

أركان العقيدة والإيمان

مقدمة

معالم الدين مكونة من ثلاث دوائر أساسية، وهي:

١- دائرة الإسلام.

٢- دائرة الإيمان.

٣- دائرة الإحسان.

وهذه الدوائر مستفادة من حديث النبي ﷺ في قصة جبريل المشهورة، وسأذكره ثم أذكر بعض الفوائد منه، ثم أبدأ بعد ذلك بأركان الإيمان مع ركائزها ودلائلها بإذنه تعالىٰ.

نصّ الحديث:

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «**بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ. حَتَّىٰ جَلَسَ**

إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: صَدَقْت. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ؟ قَلَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». أخرجه مُسْلِمٌ[(١)].

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الحديث: (هو حديث عظيم جدًا يشتمل علىٰ شرح الدين كله ولهذا قال النبي ﷺ في آخره: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[(٢)]. وهو حديث يبيّن أسس الإسلام وقواعده العظام بطريقة جميلة، وأسلوب حسن، وحَدَث مشوّق، وهذا يدل علىٰ عناية الإسلام بأسلوب الخِطاب،

---

(١) (٨)

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٩٧)

وطرائق التعليم، فقد كان بالإمكان أن تُعرَض المعلومات التي في الحديث بأسلوب خطابي عادي، ولكنه حصل بهذا المشهد وتلك القصة والحدث، ليَرْسَخ في الأذهان، ويثبت في العقول، ويستقر في القلوب.

الإيمان قول وعمل واعتقاد:

هذا الحديث يبيّن أركان الإيمان ومعالم الإسلام وصفة الإحسان، وقد تقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولكن قد أشكل علىٰ بعض الناس أن الإيمان المذكور في الحديث إنما رُبط بالاعتقاد وليس بالعمل، وذلك بقول النبي ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته ..**» بينما رُبِط الإسلام بالعمل، وذلك بقوله: «**تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ..**» فهل تدخل الأعمال في الإيمان؟ أم أن الإيمان مجرد اعتقاد؟

وللإجابة عن هذا الاستشكال فلا بد أولًا من النظر إلىٰ مجموع الأدلة القرآنية والنبوية وليس إلىٰ دليل واحد، وهذه من أهم المنهجيات لفهم الشريعة الإسلامية، فإذا نظرنا في أدلة الباب سيتبين لنا أن الأعمال داخلة في الإيمان، وأنه ليس اعتقادًا فقط، وهذه بعض الأدلة علىٰ ذلك:

١- قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾. فـ (يقيمون الصلاة) عمل، والإنفاق عمل.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شُعبة**[1]، **فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2] فذكر منها إماطة الأذىٰ عن الطريق، وإماطةُ الأذىٰ: عمل وليست اعتقادا.

٣- حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس -وقد أخرجه البخاري ومسلم- وفيه: أن النبي ﷺ أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»[3] فعرّف الإيمان في هذا الحديث بأمور عملية مقاربة لما عرف به الإسلام في حديث جبريل.

إذًا، فالأدلة صريحة علىٰ أن العمل من الإيمان، فما توجيه الحديث الذي فيه قصة جبريل؟

الجواب: أنه إذا ذُكر الإسلام والإيمان في موضع واحد، فإن الإسلام يُفسَّر بالأعمال الظاهرة، والإيمان يُفسر بالاعتقاد، وذلك كما في حديث جبريل. وإذا ذُكر أحدهما منفردًا فإنه يشمل

(١) وفي رواية -بضع وسبعون شعبة-.
(٢) البخاري (٩) مسلم (٣٥)
(٣) البخاري (٥٣) ومسلم (١٧)

الاعتقاد والعمل، فإذا اجتمعا في موضع واحد افترقا من جهة المعنىٰ، وإذا افترقا في الموضع اجتمعا من جهة المعنىٰ، وهذا معنىٰ قول العلماء عن الإسلام والإيمان: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا).

علاقة الكتاب بحديث جبريل:

هذا؛ وإن حديث جبريل مليء بالفوائد والعبر، ولا يسع المقام في هذا الكتاب للتعليق عليها كلها، ولا علىٰ شرح دوائر الدين الثلاثة بالتفصيل، وإنما سأركز علىٰ الدائرة الثانية، وهي دائرة الإيمان مع التعرض لشيء مما له علاقة بالدوائر الأخرىٰ. ومن أراد الاستزادة من فوائد الحديث فليرجع إلىٰ كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب/ شرح الحديث الثاني. وللمتخصصين يمكنهم مراجعة كتاب (شرح حديث جبريل «الإيمان الأوسط») لابن تيمية رحمه الله تعالىٰ.

أركان الإيمان

الـركـن الأول
الإيمان بالله

الإيمان بالله تعالىٰ هو أصل الأصول، وما يليه من الأركان إنما هو فرع عن الإيمان به ﷻ، فهو الذي أخبرنا بالملائكة والرسل واليوم الآخر والقدر، فبدون الإيمان به لا يمكن الإيمان ببقية الأركان، ولذلك؛ فإن الحديث عن الله تعالىٰ سيكون أطول موضوع في الكتاب، وسأتناوله من عدة جهات:

١- وجود الله وكماله ﷻ وربوبيته وعظمته.

٢- أسماء الله وصفاته.

٣- ألوهيته ﷻ.

ثم ننتقل إلىٰ الحديث عن بقية الأركان بمشيئة الله تعالىٰ.

أولًا: وجود الله ﷻ وكماله وربوبيته:

إن المعرفة بوجود خالق للإنسان لا تتطلب استدلالا طويلا، ولا فلسفة معقدة، ولا طرائق مشتبكة، بل إن «إثبات وجود الله ﷻ أمر فطري عقلي قريبٌ لا يجهد العقل في الوصول إليه؛ إذ إنّه قائم علىٰ مبدأ يجده الإنسان مركوزًا في عقله بحيث لا يمكنه التخلي عنه البتة، وهو مبدأ: (**الاستدلال بالأثر علىٰ المؤثِّر**)، بل إن عامة الملحدين الذين يتنكرون لوجود الخالق سبحانه يُطبقون هذا المبدأ في سائر أمور حياتهم وإن أنكروه في باب الألوهية.

إن البحث فيما وراء الآثار والأفعال والأحداث عن المؤثّرين والفاعلين والمُحْدِثين لا يُمكن أن يتخلىٰ عنه البشر -مُطلقًا- إلا في حالة فقدانهم عقولهم، إذ لا يمكن للبشر أن يتصوروا حدوث الأشياء بعد عدمها دون وجود أسباب لذلك تناسب طبيعة تلك الحوادث»[1] والإنسان هو واحد من هذه الأشياء التي حدثت بعد أن لم يكن شيئا: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ فيستحيل وجوده دون خالق ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾، هذا إذا نظرنا لمجرد وجوده بعد العدم، فكيف إذا نظرنا إلىٰ إتقانه، وحسن قوامه، ودقيق صنعه، وعجيب تكوينه؟ فإنه (كلما كان الأمر الحادث الناشئُ أكثر إتقانًا

(١) كامل الصورة، أحمد السيد (١٤)

وتعقيدًا اشتدت الضرورة في النفس للبحث عمّا وراء ذلك الأمر المُحدَث المتقَن من السبب الذي يناسب هذا الإتقان والتعقيد، فإن العقل لا يقنَع -عند النظر في الأمور الحادثة- بمجرد وجود سبب وراءها، بل لا بد أن يكون السبب مناسبًا للصفة التي نشأعليها هذا الأمر الحادث)[1].

فإذا تأمل الإنسان في نفسه فإنه لا يحتاج -عقلًا- إلىٰ دليل آخر علىٰ وجود الله تعالىٰ: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] مع أن السماوات والأرض فيهما من الآيات ما هو أكبر وأعجب وأعظم من خلق الإنسان، كما قال الله ﷻ: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] وإذا جمع الإنسان بين التأمل في آيات النفس والآفاق فإن هذا يزيده إيمانا ويقينًا: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]

حين تفكّر في جهاز التخزين للمعلومات: (USB) فإنك تتعجب كيف استطاع الإنسان أن يصنع شيئا صغيرا يمكنه تخزين معلومات هائلة؟ وكلما زاد صغر الجهاز وسعة تخزينه فإن الإنسان يزداد تعجبًا ودهشة، ويزداد اعترافا لصانع الجهاز بالعلم والخبرة والإتقان ولو لم يعرف أسماء المصنّعين ولا الشركة المنتجة.

---

(١) كامل الصورة، أحمد السيد (١٤-١٥)

حسنا، هل تعلم أن في جسمك أجهزة تخزين معلومات هي أصغر بآلاف المرات من الـ (USB) وفي نفس الوقت تخزّن أضعاف أضعاف المعلومات التي تخزنها تلك الأجهزة التي من صُنع البشر؟!اقرأ في علم الأحياء عن الجينات وما تحويه داخلها وما يمكن تخزينه في (DNA) لتتعجب وتسبح بحمد الله وتشهد ألا إله إلا هو!

وإذا تأملنا في صناعة الرجل الآلي (الروبوت) فإننا نجد منها ما هو متطور جدًا، يحاكي حركات الإنسان، وكلما ازدادت المحاكاة أكثر كان هذا أدل علىٰ زيادة علم صانع الروبوت الذي لا يكون في العادة شخصا واحدًا وإنما علماء متعددون كم اختصاصات متنوعة.

حسنا، وماذا عن الإنسان نفسه؟! إذا كان هذا الرجل الآلي- يحاكي بعض حركات الإنسان ويحتاج لكل هذا الجهد والوقت ليخرج بهذه الصورة، فالإنسان نفسه يتطلب قدرة أعظم وعلما أكبر حتىٰ يمكن أن يوجد، ومن الجنون أن يقال إن المادة الجامدة أوجدته!

فوا عجبًا كيف يُعصىٰ الإله
أم كيف يجحده الجاحدُ؟
وفي كل شيء له آية
تدل علىٰ أنه الواحدُ

ولمن أراد الاستزادة في باب وجود الله وآياته في الإنسان والكون، فليطالع ما يلي:

- كتاب: براهين وجود الله للدكتور سامي عامري.
- وكتاب: الصنع المتقن لمصطفىٰ قديح.
- وكتاب: شموع النهار، لعبد الله العجيري.
- وكتاب: الله يتجلىٰ في عصر العلم، لمجموعة من المتخصصين الأمريكان في عدد من العلوم الطبيعية.
- وكتاب: الكوكب المميز لغييرمو غونزاليز وجاي ريتشاردز.
- وكتاب: ستة أرقام فقط، لمارتن ريس، وغيرها الكثير.

دلالة الفطرة علىٰ وجود الله:

وبعد ما سبق ذكره من دلالة العقل علىٰ وجود الله، فإن لدينا نوعًا آخر من الأدلة التي نستدل بها علىٰ وجوده ﷻ، ألا وهو: الفطرة؛ فالله تعالىٰ رَكَز في الإنسان معنىٰ الافتقار إليه، فهو ينشأ علىٰ هذه الفطرة، فطرة الشعور باعترافه بخالقه واحتياجه إليه، وقد ذكرتُ في كتابي سابغات شيئًا من دلالة الفطرة علىٰ وجود الله تعالىٰ، سأنقله هنا -مختصرًا-:

(تدل الفطرة البشرية علىٰ وجود الخالق ﷻ من ثلاث جهات:

الجهة الأولىٰ: أن هناك معارف أولية ضرورية حاصلة لكل البشر، لم يتعلموها في مدرسة، ولم يتلقّوها في جامعة، وإنما

وُلدت معهم، وغُرِزت في عقولهم؛ كمعرفة أن الحادث لا بد له من مُحدِث، وأنّ الجزء أصغر من الكل، وهذه المعارف يُستدل بها علىٰ وجود الله سبحانه من طريقين:

الطريق الأولىٰ: من جهة النظر والاستدلال، وذلك بأن يُنظَر في الكون والإنسان والمخلوقات، فيُعلَم بأنها حادثة، ثم نستدل بالمعرفة الفطرية القائلة بأن لكل حادث محدث علىٰ أن للكون والمخلوقات مُحدِثًا خالقًا وهو الله ﷻ.

الطريق الثانية: أن مُجرّد وجود هذه الغرائز المعرفية الفطرية يدلُّ علىٰ أن هناك من أودعها في نفس الإنسان؛ لأنها لم تحصل عن اكتساب ولا عن تعلم، وهذا دليل علىٰ وجود الخالق ﷻ.

الجهة الثانية من دلالة الفطرة: ضرورة الافتقار والتعبد، أو الاعتراف النفسي الضروري بالحاجة إلىٰ الخالق سبحانه؛ إذْ إنّ في فطرة الإنسان افتقار ذاتي إلىٰ قوة غيبية كاملة غنيّة يرجو منها الإنسان النفع، ويستدفع بها الضر، ويتذلل لها، وخاصّة عند الشدائد؛ ولذلك تجد أنّ الأمم كلّها من قديم الزمان وفي مختلف البلدان لها أماكن للعبادة، حتىٰ عبدوا الشمس والكواكب والنار والأحجار ملتمسين بذلك جلب النفع ودفع الضرّ، وما ذلك إلا لافتقار الإنسان بطبيعته إلىٰ الإله الذي يملأ تطلعات روحه وحاجاته؛ غير أنّ البيئة التي ينشأ فيها الإنسان قد تساهم في تشويش الغاية الصحيحة، فبدل أن يتوجه للإله الحق، يتوجه إلىٰ آلهة باطلة يُعلَم بالعقل قبل الشرع بُطلانها، ولذلك فإنَّ الرسل

حين بعثوا إلىٰ أقوامهم لم يكن محور رسالتهم إثبات وجود الخالق؛ لأن الأمم كانت تقرّ بذلك في الجملة، وإن كان بعض الناس قد يحتاج إلىٰ تذكير بهذه الحقيقة الفطرية، وإنما كان محور رسالتهم: الدعوة إلىٰ إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، والتخلُّص من عبادة كلّ ما سواه، ولذلك نجد أسلوب خطاب الرسل عند الحديث عن هذه الحقيقة الفطريّة تذكيريًّا لا تأسيسيًّا، كأنه يُحيي الفطرة في النفوس، أو يوقظها، لا أنه يغرسها أو يَبْنِيْها، فتأمَّل ـ مثلًا ـ قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]؟! فهذا أسلوب مَن يُذكّر لا من يؤسس معنىٰ كان مجهولًا.

وقد ذكر ابن تيميّة رحمه الله تعالىٰ أن بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته فيحتاج إلىٰ نظر تحصل له به المعرفة[(١)].

الجهة الثالثة: الغرائز والأخلاق، وذلك أننا نرىٰ في الإنسان والحيوان غرائز فطرية غير مكتسبة من المجتمع ولا من البيئة، وإنما هي مما أودع فيه بغير كسب منه، فأنت تشاهد بعض الحيوانات عند ولادتها تتجه مباشرة إلىٰ الضّرع باحثة عن اللبن، من غير أن تكون الأم هي التي توجهها إليه، وأنت ترىٰ الرضيع إذا ألقمته أمه ثديها عرف كيف يمصه ويستخرج اللبن منه،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ١٨٩)

وكذلك غريزة ميل الجنسين أحدهما إلىٰ الآخر، وغريزة النكاح، وحب الولد، وغير ذلك من الغرائز الكثيرة جدًّا.

ومن الغرائز التي أودعت في الإنسان: القيم الأخلاقيّة الفاضلة كاستحسان الصدق، والعدل، واستبشاع الظلم والقتلِ وتعذيبِ الأطفال، ونحو ذلك. إنّ وجود الخير في نفس الإنسان لا يُمكن أن يفهم في دائرة العبثية والعشوائية، وإنّما يتمّ فهمه باتساق وانتظام تحت مظلّة الإيمان بوجود الخالق المُدبّر ﷻ، الذي خلق النفوس وألهمها فجورها وتقواها)[1]

وخلاصة الكلام في الإيمان بوجود الله وكماله أننا نستدل علىٰ ذلك بالعقل والفطرة، فالعقل يدلنا علىٰ ضرورة وجود خالق له صفات الكمال من خلال التفصيل السابق، والفطرة تدلنا علىٰ وجود الخالق أيضا من الجهات التي سبق بيانها كذلك؛ فاللهم ارزقنا تعظيمك وخشيتك وحسن العمل بالعلم يا رب العالمين . . آمين.

ثانيًا: أسماء الله وصفاته:

تقدم معنا أن الحديث عن الله ﷻ سيكون تحت ثلاثة عناوين:

١- وجود الله وكماله وربوبيته.

٢- أسماء الله وصفاته.

---

(١) سابغات (٧٠-٧٣) باختصار

٣- ألوهيته سبحانه وبحمده.

وقد تكلمنا عن العنوان الأول، وها نحن ننتقل إلىٰ العنوان الثاني لنتحدث عن أسماء الله وصفاته، وفي الحقيقة، فإن الحديث عن أسماء الله وصفاته يُعد داخلًا في الحديث عن كمال الله وعظمته، ولكنني أفردتها بعنوان خاص لأنني أريد الإشارة إلىٰ مسائل وتنبيهات متعلقة بالأسماء والصفات بشكل خاص فأفردتها.

معاني الأسماء الحسنىٰ:

إن الحديث عن أسماء الله وصفاته حديث عظيم جميل؛ لأنه يعرّفنا بالله ﷻ، وإن من المهم لشباب الجيل الصاعد أن يتعرفوا علىٰ معاني الأسماء الحسنىٰ، ويحفظوها، ويتأملوا فيها، ليتعبدوا الله تعالىٰ بها، فتزيدهم له حبا، ومنه قُربًا.

والله سبحانه أرشدنا إلىٰ أن ندعوه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ ومن سُبُل إحسان الدعاء بها أن نعرف معانيها، وأن نعرف استعمالات الأنبياء لها، فالأنبياء إذا دعوا الله تعالىٰ فإنهم يدعونه بأسمائه وصفاته، وهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بطريقة استعمال الأسماء الحسنىٰ في الدعاء، فإذا أردنا أن ندعو الله دعاء نرجو إجابته فلنتعلم هدي الأنبياء في الدعاء ولنتأسّ بهم، فإن ذلك مظنة الإجابة.

ولقد كتب كثير من العلماء والدعاة في معاني الأسماء الحسنىٰ، ومن أسهل الكتب في ذلك مما يناسب الجيل الصاعد -وقد قررتُه علىٰ نخبة منهم فأعجبهم جدا-: كتاب لأنك الله، للأستاذ: علي الفيفي. ومن الكتب المفيدة: النهج الأسمىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ، لمحمد النجدي.

حفظ الأسماء الحسنىٰ وإحصاؤها:

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**» والحديث صحيح أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما[(١)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المنهاج -وهو شرح لصحيح الإمام مسلم-: (وأما قوله ﷺ: «**من أحصاها دخل الجنة**» فاختلفوا في المراد بإحصائها:

- فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه: حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء مفسرا في الرواية الأخرىٰ: «**من حفظها**».

- وقيل: أحصاها: عدها في الدعاء بها،

- وقيل: أطاقها، أي: أحسن المراعاة لها والمحافظة علىٰ ما تقتضيه وصدق بمعانيها..، وهو ضعيف، والصحيح الأول»[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٣٦) صحيح مسلم (٢٦٧٧)

(٢) المنهاج، النووي (١٧/ ٥-٦)

ومن العلماء من رجح معنىٰ العمل بمقتضاها بالإضافة إلىٰ حفظها. وعلىٰ أية حال فيُستحسن حفظ هذه الأسماء لما ورد من الفضل في الحديث المذكور.

تعيين الأسماء الحسنىٰ:

لم يصح عن النبي ﷺ عدّ الأسماء التسعة والتسعين، وإنما اجتهد العلماء في استخراجها، وأما ما ورد في بعض روايات الحديث عند الترمذي مِن عدّ الأسماء ونسبته إلىٰ النبي ﷺ فليس بصحيح، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه»[1]

وتجدر الإشارة هنا إلىٰ أن أسماء الله تعالىٰ ليست محصورة في هذا العدد كما ذكر العلماء، وإنما هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة، فقد ثبت أن النبي ﷺ حين يأتي يوم القيامة مستشفعًا إلىٰ ربه فإنه يحمد الله بمحامد لم يُفتَح فيها علىٰ أحد من قبله، قال الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ (واتفق العلماء علىٰ أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس معناه: أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء

---

(١) الفتاوىٰ ٦/ ٣٨٣

في الحديث الآخر: «**أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1].

الاختلاف بين المذاهب في تأويل الأسماء والصفات:

ها هنا ملاحظة في غاية الأهمية، ألا وهي أن الكلام في الأسماء والصفات قد أخذ منحىٰ جدليا عند كثير من الطوائف في التاريخ الإسلامي بتأثر من ثقافات وعلوم أخرىٰ خارجة عن الصفاء الإسلامي بعد أن تمت ترجمة الفلسفة والثقافة اليونانية علىٰ وقت المأمون -الخليفة العباسي-، فصار أول ما يقفز في الذهن إذا ذُكر باب الأسماء الحسنىٰ هو الخلافات العقدية الجدلية الواقعة في هذا الباب بين الطوائف الإسلامية، وهذا بلاشك خلاف المقصد الشرعي الذي لأجله ذكر الله أسماءه وصفاته في كتابه العزيز. ونحن إذا رجعنا إلىٰ وقت النبي ﷺ وأصحابه نرىٰ أنهم لم يتعاملوا مع الأسماء والصفات بغير مبدأ التعظيم والتسليم، ولم يضعوا قوانين معارضة للنصوص، سواء سُميت قوانين عقلية أو غير ذلك. وإنما تعاملوا مع هذه النصوص كما يتعاملون مع سائر نصوص القرآن الكريم الواردة في الأحكام والتشريعات والأخبار، فلم يكونوا يتكلفون في معانيها أشياء غير ما يدل عليه كلام العرب، ولم يقولوا إن نصوص الصفات الإلهية من المتشابه الذي لا يُفهَم، ولم يقولوا إننا نحتاج أن نأتي بمعان

(١) المنهاج، النووي، شرح الحديث رقم (٢٦٧٧)

خفية لنفسر بها ظاهر الآيات، وذلك أنهم يعلمون أن القرآن بيان للناس، وأنه جاء ليعرّفهم بخالقهم، وليس ليضع الألغاز والأحجيات في العقيدة ليأتي المتأخرون فيحاولون حلها.

ويقولون كذلك إن الرسول ﷺ جاء مبينا للقرآن، مفسرا له، شارحًا للناس ما يريده الله منهم، وهو في نفس الوقت حريص علىٰ المؤمنين، يريد هدايتهم وإرشادهم وتعليمهم، مع امتلاكه لأدوات البيان والقدرة علىٰ إيصال الحق، فلو كان يريد منّا أن نتعامل مع نصوص الأسماء والصفات بطريقة تأويلية خاصة لأرشدنا إلىٰ ذلك، خاصة وأن نصوص الصفات كثيرة جدا في القرآن الكريم.

فإذا جاء في القرآن -مثلا- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ فنحن نفهم من هذا النص ما فهمه الصحابة وبلغوه، وهو إثبات المحبة لله، وأنها محبة تليق بجلاله لأنه سبحانه لا يشبهه شيء، وهذا هو المعنىٰ العربي الواضح الموافق للشريعة.

بينما نجد أن بعض الفرق والطوائف وقفت من هذا النص وأمثاله موقفا متكلفا جدا، فقالوا: «المحبة؟! المحبة لا يمكن أن ننسبها إلىٰ الله كصفة، لأنها ميل القلب إلىٰ المحبوب، وهذا لا يليق بالله! فنؤولها إلىٰ غير ذلك» وتجدهم في نفس الوقت يثبتون لله صفة الإرادة! ويقولون: نُثبت إرادةً لا تشبه إرادة المخلوقين، ونحن نقول لهم: كذلك محبة الله لا تشبه محبة المخلوقين، فلا نقول فيها غير ما قال الله فيها بدلالة اللسان

العربي، فالله يحب التوابين، فمن كان توابا أحبه الله، والمحبة معروفة لا تحتاج إلىٰ تفسيرات متكلفة للتنفير من التصديق بها! وهكذا في بقية نصوص الأسماء والصفات، مع الاعتراف الدائم بأننا لا ندرك كيفية هذه الأسماء والصفات في حق الله تعالىٰ، لأن الله أعظم من أن يحيط أحد بحقيقة ذاته أو حقيقة أسمائه وصفاته، ومع الاعتراف الدائم بأن إثبات الصفات لله محكوم بقانون ذكره الله في القرآن وهو ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ فالله سبحانه يسمع ويبصر ويتكلم وله صفات الجلال، ولا يشبه شيئا من خلقه جل في علاه، وأما الذي لا يسمع ولا يبصر فهو إله المشركين وليس رب العالمين، ألم يقل إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾؟!

ثالثًا: الألوهية:

تقدم معنا أن الحديث عن الله سبحانه وتعالى يتضمن ثلاثة عناوين:

١- وجود الله وكماله وربوبيته.

٢- أسماء الله وصفاته.

٣- ألوهيته سبحانه وبحمده.

والمقصود بالألوهية هنا أي إفراد الله تعالىٰ بالتعبد، بألا يُعبَد إلا هو، ولا يُسجد إلا له، ولا يستغاث إلا به، ولا يُتوكّل إلا عليه، فإذا كان توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالىٰ بالمُلك والخلق والتدبير؛ فإن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالىٰ بالعبادة،